الشعر التعليمي: ماهية، وتاريخا، وأهمية

السعيد بوبقار
كلية الاداب و اللغة العربية
جامعة جيجل

ملخص:
يُفرّع الشعر عامة والعربي خاصة إلى فرعين كبيرين: ذاتي وموضوعي، ويهدف الشعر التعليمي إلى تعليم القارئ العلوم الشرعية واللغوية والعلمية عن طريق متون شعرية اسمها المنظومات.
إنّ الشعر التعليمي قديم تعود جذوره إلى الحضارة اليونانية، ثم ظهرت نواه الأولى في العصر الجاهلي على يد "زهير بن أبي سلمى"، وأما الظهور الفعلي فقد كان في العصر العباسي على يد أبان اللاحقي وبشر بن المعتمر. ومن العباسيين انتقل الشعر التعليمي إلى الأندلسيين الذين توسعوا في مجالاته توسعا كبيرا.
وينبغي التذكير أن الشعر التعليمي بسيط فنيا عظيم النفع مضمونيا، وهو شعر صوره بسيطة ويرتكز على بعض البحور الشعرية دون سواها.
الكلمات المفتاحية: الشعر، التعليم، البحور الشعرية، المتون.

Résumé:
La poésie en général et l'arabe en particulier a deux grandes sections: subjective et objective, et vise à enseigner les sciences islamiques, scientifique, juridique et linguistique à travers un système appellé (Moutoun Chiriai).
La poesie éducative ancienne, ses racines remontent à la civilisation grecque, et d'abord apparu de l'ère pré-islamique par «Zuhair bin Abi Solma», L'aspect réel était à l'époque abbasside par «Aban Allahiki» et «Bichr bin Moatamir». Des Abbassides, la poésie de l'éducation a été transférée aux Andalous, qui ont étendu dans ses domaines une grande expansion.
On doit indiquer que la poésie éducative est très simple et facile, et c'est un grand avantage sur le plan technique de fond, c'est une image simple basée sur des mers poétiques limitées.
Mots Clés : Poesie, Education, mers poétiques, Mtun Chiriai

مقدّمة:

نسمع كثيرا عن شعر يصدر عن طائفة من العلماء الفقهاء أو العلماء غير الفقهاء، ونسمي هذا الشعر بـ "شعر العلماء" ناسبينه إليهم، ويجهل الكثيرون أن "الشعر التعليمي" فَرع عظيمٌ وميدانٌ واسع ضمن شعر العلماء. وتحب - قبل الولوج في أعماق موضوع الشعر التعليمي - أن نتحدث عن فروع

© جامعة الإخوة منتوري قسنطينة،الجزائر2018

شعرنا العربي وما يتفرّغ عنها من فروع ثانوية وجزئية فنقول:

- إن التقسيم الطبيعي المبدئي للشعر عامة والعربي خاصة أنه شعر ذاتي وشعر موضوعي، والشعر العربي ذاتي أغلبه:

أ - فأما الذاتي - أو الوجداني أو الغنائي - فهو الذي يغلب عليه عنصر العاطفة - وينطلق من ذات الإنسان ويصلح أكثره للغناء، وهو أربعة (04) فروع كبرى:

1 - الفرد وعواطفه، ويضم الفخر، والهجاء، والمدح، والرثاء، والغزل، وما يتفرّغ عنها.

2- المجتمع وأحواله، ويضمّ: الشعر الإجتماعي، والشعر السياسي وما يتفرّغ عنه.

3 - الطبيعة ومظاهرها، ويضمّ: شعر الوصف فقط.

4 - المدارِك المعنوية العامة، ويضمّ: شِعر الحكمة، وشعر الزهد (أو ما يسمى بالغزل الإلهي في بعض التعريفات).

ب - وأما الموضوعي فهو الذي يغلب عليه عنصر العقل وينطلق من خارج الذات، ويضمّ ثلاثة (03) فروع كبرى:

1- الشعر المسرحي أو المسرح الشعري: وهو مسرحيات تكتب شِعراً (لا نثراً؛ لأن المسرحيات النثرية تندرج ضمن فروع الأدب النثرية) لتمثل - غالبا - على خشبة المسرح، كمسرحيات شوقي، ومسرحيات شكسبير وقبلهما المسرحيات الشعرية اليونانية والرومانية بعدها.

2 - الشعر الملحمي أو البطولي: وهو الذي يتناول بالوصف- وفي قصائد طويلة قد تبلغ الآلاف - حروب الأمم وأمجادها وبطولاتها بتصوير جمالها الطبيعي والتاريخيّ ومنها: "إلياذة هوميروس اليوناني" و "أوديسته"، وإنيادة فرجيل" الروماني، و"شاهنامة الفردوسي" الفارسي و"إلياذة - أو ألفية أو ملحمة الجزائر – "لمفدي زكرياء" الجزائري.

ومن هذا الفرع فرعٌ اسمه الشعر القصصي وهو الذي يتناول قصص أفرادٍ أو جماعات صغيرة من الناس عن طريق الشعر. ويتوفر- عادة- على عناصر القصة القصيرة كقصّة "البدويّ الكريم" وهي من أشهر قصص الكَرَمِ العربي - في قصيدة "الحطيئة".

3 - الشعر التعليمي: وهو بيت القصيد وحجر الزاوية في موضوعنا هذا، وهو شعر (بل هو نظمٌ) يتناول ما يتعلمه الناس من معارف وعلوم وفنون مصبوبا في قالبٍ شعريٍّ ليسهل عليهم حفظه واستيعابه. [1]

- **تعريفه**:

الشعر التعليمي هو شكل من أشكال شعر العلماء باتفاق الجميع. والشعر التعليمي - أو ما يسمى الشعر العلميُّ - هو الشعر الذي يتضمّن مسائل العلوم والفنون تسهيلا لحفظها بعد اتساعها في العصر العباسي اتساعا عظيما، ثم انتشر في بلاد الأندلس فيما بعد انتشارا فاق موطن نشأته الأولى.

لقد ظهر الشعر التعليمي في أوروبا (اليونان والرومان) قبل ظهوره في بلاد العرب، واتخذ طابعا نُصحِيّاً أخلاقيا ولكن في قالب فنيّ جميل أفضل مما ظهر عند العرب الذي - رغم إجماع الكثيرين على قيمته وأهميته- فهو في نظر البعض "جاف للجملة أقرب إلى النثر منه إلى الشعر". [2]

ويعرّفه **عبد الله كنون المغربي**[3] بقوله: «هو هذه المتون العلمية المنظومة التي تزخر بها المكتبة العربية وتكوّن سجلاّ حافلا من الكتب الدراسية التي لبِث طلاب العلم في العالم العربي قرونا طويلة يستعملونها في دراساتهم المتنوعة ويقتبسون منها المعارف والفنون جيلا بعد جيل». [4]

وقد ألحق البعض بهذا النوع من الشعر الذي يهدف إلى تهذيب النفوس عن طريق المَثَل المنطوق على ألسنة الحيوانات كما نجد ذلك عند أبان اللاحقي (ت 205 ه) وأحمد شوقي (ت 1932 م).

- **ظروف نشأته:**

يذكر أنّ أول المتعاطين لهذا اللون من الأدب أديبٌ عباسيٌّ مشهور اسمه "أبانُ اللاّحقيّ" وكان خادما للبرامكة وكاتبا لهم ومؤدبا لأبنائهم فنظم لهم كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع في رَجْزٍ سَلِسِ الأسلوب ليسهل عليهم حفظه، ومما قال في أوله:

هذَا كِتَابُ أدبٍ ومِحِنَه ∴ وهو الذي يُدعَى "كليلة ودمنهْ "

فيه احتيالاتٌ وفيه رُشْدُ ∴ وهو كتابٌ وَضَعتْه الهندُ. [5]

وقد أجاز البرامكة اللاحقي بآلاف الدنانير، فنظم لهم رَجْزا آخر يتعلق بأحكام الزكاة والصيام .... والمهم أن الفكرة خرجت من عند الأدباء فتبناها العلماء.[6]

والحقَّ الحقَّ فإنّ للشعر التعليمي جُذورا تمدّها "حنا الفاخوري" في كتابه "تاريخ الأدب العربي" إلى العصر الجاهلي وإلى "زهير إبن أبي سلمى" بالذات في معلقته المشهورة وفي قوله: «ومَنْ رمَنْ ...». [7]

وكأنّ الحكمة والنصح والتوجيه سمة غالبة على شعر العلماء والتعليمي منه على وجه الخصوص...

ومن أقدم ما وصل إلينا من الشعر التعليمي، أيضا قصيدتان "لبِشر بن المعتمر" جمع فيهما كثيرا من الغرائب والفرائد ونبّه على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة، والموعظة البليغة .... [8]

ففي مطلع الأولى يقول:

الناس دَأباً في طِلاب الغِنى ∴ وكلّهم من شأْنِه الخثْر

كأذؤبٍ تنهشها أذؤبٌ ∴ لها عُواء ولها زَفْرُ

تراهم فوضى وأيدي سبا ∴ كلٌّ له في نفثِه سِحْرُ

تبارك الله وسبحانه ∴ بين يديه النفع والضرّ

وفي مطلع القصيدة الثانية يقول:

أما ترى العالَمَ ذا حُشوَةٍ ∴ يقصُر عنها القَطْرِ

أوابذ الوحش وأحناشها ∴ وكلّ سبعٍ وافرِ الظّفرِ

وبعضه ذو همجٍ هامِجٍ ∴ فيه اعتبار لذوي الفِكرِ.[9]

ومن الذين اشتهروا في الشعر التعليمي - بعد بشر بن المعتمر - عبد الله بن المعتز في أواخر القرن الثالث (الـ 03) الهجري في قصيدة تاريخية من أربع مائة وأربعة عشر (414) بيتا ... ومن بعده- في التاريخ أيضا- القصيدة الحمدانية لأبي فراس الحمداني وهي قصيدة تبلغ مائتين وخمسة وعشرين (225) بيتا قالها في تمجيد أسلافه وأجداده، وهذا يثبت لنا أنّ الشاعر قد يكون- في بعض الجوانب - عالما شاعرا وفي الشعر التعليمي بالذات.

ومما يشبه نظم "أبان اللاحقين" المذكور، نذكر كتاب "الصادح والباغم" لـ "ابن هبارية البغدادي" (ت 490 ه) على طريقة وأسلوب كتاب "كليلة ودمنة"، وهو مليء بالقصص والحكم والأمثال والأقوال الأدبية التي ترمي إلى تقويم الأخلاق وتهذيبها، ومنه قوله:

لا تقبل الدّنيّه ∴ لا تخِف المنيَّه

لا تظلم الإخوانا ∴ لا تأمنِ الزّمانا.[10]

ومن الشعر التعليمي في الأندلس نظم فنون البديع أي مدائح النبي (صلى الله عليه وسلم) كفعل محمد بن جابر الأندلسي الضرير (ت 780 ه) في بديعيته "الحلّة الحلة السيرا في مدح خير الورى" وهي مائة وسبعة عشر (117) بيتا.

ومن هؤلاء النظّام ما فعل الوزير الشاعر "لسان الدين بن الخطيب" في أرجوزة له في تاريخ الإسلام مظهرا أسباب فساد الحكم بقوله:

ويفسُد الملك بالاحتِجَابِ ∴ كذلك بالزهو وبالإعجاب.[11]

وهذا يثبت لنا صحة إدراج بعض الحكّام ورجال السياسة ضمن الشعراء والنظّام منهم بالذات كما هي الحال عند "أفلح بن عبد الوهاب" و "لسان الدين بن الخطيب" المذكور.

ويعتبر "شوقي" خير من انتقل بالشعر التعليمي إلى طور أعلى فله قصيدة حول كبار الحوادث التاريخية في وادي النيل من مائتين واثنين وتسعين (292) بيتا، وله مطوله "صدى الحرب" في وصف الوقائع العثمانية اليونانية في عهد "السّلطان عبد الحمد".

وقصيدة "النيل" البالغة مائة وثلاثة وخمسين (153) بيتا سجّل فيها مآثر وأمجاد الماضي ... ومطولته "الموشح الأندلسي" التي نظم فيه تاريخ صقر قريش مؤسس الدولة الأموية الثانية في الأندلس البالغة مائة واثنين وثلاثين (132) بيتا.[12]

ونعرج الآن عودا إلى ما يسمى "شعر العلماء" والذي يعدّ "الشعر التعليمي" فرعا عظيما بارزا منه فعند ذكرنا لشعر هؤلاء فإنّ الصورة التي تتجسّد في أذهاننا عنهم هي صورة الحكمة والرزانة والتعقل والوقار والصلح والإصلاح وعيرها من الصفات الحسنة، مما يجعلنا نحزِم أنّ كلّ ما يُنتجه فقيه أو إمام أو عالِم أو مُصلِح أو داعية فهو شعر علماءِ والأسماء كثيرة عديدة...، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر: زهير بن أبي سلمى، وورقة بن نوفل، وعلي بن أبي طالب، والشافعي، والبخاري، وابن مالك الأندلسي والآجرومي، وابن سينا، وابن زمرك، وغيرهم كثير...

- **إحصاؤه:**

يقول "عبد الله كنون" في كتابه "أدب الفقهاء" عمّا أُلّف من منظومات الشعر التعليمي: «تداول العلماء هذا الفنّ من القول وأكثروا منه إلى الحدّ الذي جاوز العدّ، ولم يبق عِلمٌ لم ينظموا فيه ولا أدبٌ ولا فنٌّ ولا ضرْبٌ من ضروب المعرفة إلا أخضعوه للوزن والقافية، فما تركوا ميدانا إلاَّ خاضُوه بدءا بالغيبيات والفلسفة ومرورا بقضايا الدين من عقيدة وشريعة إلى العلوم الطبيعية والإنسانية المختلفة: فقد نظموا في الفقه وأصول الدين والتصوّف والزهد والقراءات وعلوم القرآن كلّها وعلم الحديث وفي الطب والفلك والكيمياء والمنطق والفلسفة والرياضيات والحساب والجبر وفي فنّ الخطّ وفي تاريخ الأمم والحكّامِ وما تعلّق بالآخرة والحساب وفي تعبير الرؤيا، وغيرها مما لا يحصره عدٌّ».[13]

ولنا في النماذج الآتية ما يثبت قولنا ...

فالمنظومات التعليمية كثيرة جدّا، وهي إما على شكل مجموعات وجوامع وإما على شكل متون منفردة، والتي تهمنا في هذا المقام هذا المقام هو ذكر أشهرها مع ناظميها كما هو آتٍ:

أولا: في ميدان الإيمان والعقيدة- والتوحيد تاجها والشريعة أيضا- وهي كثيرة كثيرة جدّا، نذكر الآتي:

1 - متن المرشد المعين على الضّروري من علوم الدين لابن عاشر.

2 - التحفة السنية في منظومة أبي داود الحائية - لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

3 -لامية ابن تيمية...

4 - نونية ابن القيم الجوزية...

5 - في أسماء الله الحسنى - وبالترتيب المتداول - منظومة العلامة تقي الدين

6 - في أسماء الله الحسنى –بترتيب آخر- قصيدة لمحي الدين بن عربيّ.

ثانيا: وفي ميدان القرآن الكريم نذكر الآتي:

1 - منظومة في أسماء القرآن الكريم لابن جابر (وقال البعض للقاضي عيّاض) ورودت في كتب كثيرة منها:

تعريف الخلف برجال السلف - للحفناوي

2 - وفي علوم القرآن والقراءات القرآنية: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع (الشاطبية)، للشاطبي.

3 - في تجويد القرآن نذكر: المقدمة الجزرية - لابن الجزري.

4- وفي علوم القرآن – أيضا- نذكر: النّاسخ والمنسوخ للسيوطي

ثالثا: وفي ميدان الحديث الشريف نذكر الآتي:

1 - ألفية الحديث - للسّيوطي.

2 - البيقونية في مصطلح الحديث - للبيقوني بشرح العثيمين.

رابعا: في مناجاة الذات الإلهية، وفي المدائح النبوية نذكر:

1 - قصائد التصوف لرابعة العدوية رائدة شعر التصوّف وخاصة عند النساء، فشعرها الزّهدي التصوّفي أشهر من أن يعرّف ومن ذلك قولها مناجية ربّها معشوقها:

أحبك حبيّن حبّ الهوى ∴ وحباً لأنّك أهلٌ لذاكا[14]

2- نزهة اللّبيب في محاسن الحبيب لبلقاسم بن منيع الجيجلي، وهي من أشهر المدائح الدينية في العقود الأولى من القرن العشرين الميلادي، ولا تقلّ جودة عن مدائح ابن زمرك المشهورة

خامسا: في ميدان الفقه نذكر:

1 - أرجوزة البليدي المالكي في أحكام الحضانة [15]

سادسا: في ميدان السيرة النبويّة نذكر:

1- الأرجوزة الميئية في ذكرى حال أشرف خير البريّة لابن أبي العزّ الحنفي. [16]

سابعا: في الحساب والرياضيات والفيزياء والفلك نذكر:

1 - أرجوزة إبن الياسمين في الجبر[17]

2 - مقطوعة "الشّذور" في أصل المادة وكيفيتها.[18]

ثامنا: في علم الفرائض نذكر الآتي:

1 - متن الرّحبية في علم الفرائض" - للرّحبيّ، وهي منظومة دقيقة في كيفية تقسيم المواريث على مستحقيها.

تاسعا: في الآداب والتربية والتعليم:

1 - في الآداب: "منظومة الكبائر" - للحجازي.

2 - في الآداب أيضا: "منظومة الآداب" – للمرداوي.

3 - تحفة المعلّم: أبيات للعميثل عبد الله بن خليد في توجيه المعلّم إلى كيفية التعامل مع طالب العلم.

4 - شذرات الذهب: حلية العالِم والمعلِّم وبلغة الطالب المتعلِّم لسعيد بن عبد الله الهلالي.

عاشرا: في ميدان قواعد اللغة العربية:

1 - ألفية بن مالك في النحو والصرف - لابن مالك الأندلسي.

2 - الآجرومية لابن آجروم.

وهما منظومتان أكثر شهرة من شهرة النار على العَلَمِ (الجبل)...

أحد عشر: في البلاغة نذكر منها الآتي:

1 - مُلحة البيان - لزين المرصفي.

2 - الجوهر المكنون في الثلاثة فنون - لابن محمد الأخضري.

اثنا عشر: وفي العَروض والقافية، نذكر أشهرها وأحسنها:

1 - متن الخزرجية...

2 - منظومة الصّبّان...

ثلاثة عشر: وفي الرسم الإملائي نذكر:

1 - "نظم لآلي السّمط، في حسن تقويم بديع الخطّ للرّفاعي الحسني الرّباطي، وهو نظم ورد ضمن كتاب مُعلم الطلاّب لما للأحاديث من الألقاب لابن زكر التلبمساني.

أربعة عشر: في التاريخ: منظومات كثيرة من أشهرها:

1 - منظومة الظّرفاء بأسماء الخلفاء" – للسّيوطي: وتتناول هذه المنظومة الكوكبات الرائدة من الخلفاء الذين جاؤوا في القرون الأوى بعد النبي صلى الله عليه وسلم، بدءاً بالخلفاء الراشدين المرشدين.

2 - أرجوزة في تاريخ خلفاء بني أمية في الأندلس لابن عبد ربّه: وفيها يُحصي الذين أقاموا وحكموا الدولة الأمويّة في الأندلس بعد سقوطها في الشرق.

خمسة عشر: في أدب الرحلة: من أشهر ما وقع تحت أيدينا نذكر:

1 - رحلة ابن الفكّون الجزائري، وقد وردت بتمامها في رحلة العبدرى.

ستة عشر: وفي الطبّ نذكر أشهرها:

1 - أرجوزة ابن سينا في الطبّ.

- **حجمها:**

تختلف تلك المنظومات من حيث الطول والقصر فبعضها لا يتجاوز العشرين (20) بيتا أو أقل أو أكثر بقليل، وبعضها يبلغ العشرات، وبعضها المئات، وبعضها الألوف وإنما يكون طولها وقصرها بحسب موضوعاتها المتداولة، "فمن ذات الألوف نذكر: ألفية إبن معطي وألفية ابن مالك، وألفية السّيوطي في النحو والصرف، وألفية العراقي في السيرة النبوية (تُقابلُ سيرة الرسول (ص) لابن هشام

وهي أشهر السّير النثرية) ... وألفية ابن الوردي (صاحب اللامية المشهورة في الحِكمة) في تعبير الرؤيا (تفسير الأحلام)، وألفية ابن الشحنة في الفرائض، وألفية البرماوي في الأصول، وألفية القبائبي في علوم البيان،... وألفية الأنطاكي في الطبّ، وألفية أبي الوفاء المصري في المنطق،... وغيرها".

وهذه المنظومات إنما وهي لعلماء من مشرقنا ومغربنا الإسلاميين العربيين.[19]

- **صعوبتها والهدف منها**:

يبدو لأيّ صاحب فكرة بسيطة أنّ نظم هذه الأرجوزات وإنما قلنا أرجوزات لأنها أغلبها نظمت على بحر الرّجز - سهل بسيط، وإنما العكس هو الصحيح فصياغتها ونظمها يتطلّب معاناة لا يعرفها إلاّ من يُكابدها؛ لأنها -في تصوّرنا- تحتاج إلى صناعة أكثر ممّا تحتاج إلى إلهام.

"ويذكر ميمون الفخار" في نظم الآجرّومية الأبيات الآتية:

والقصد مِن ذا الرّجز المقرَّب ∴ تعليم أولادِ صغار المكتب

عسى الذي منهم به تعلّما ∴ يقول يا ربُّ إرحم المعلّما

لمّاَ رأيتهم شقوا وتعبوا ∴ في حفظ منثور ولم يقتربوا

أيقنت أنّ النّظم فيما أدري ∴ أشهى وأولى من نفيس النّثر. [20]

وأما الشرف العمربطيّ فيقول في نظم هذه الأراجيز ما يأتي:

وبعد فاعلم أنّه لما اقتصر ∴ جلّ الورى على الكلام المختصر

وكان مطلوبا أشدّ الطَّلَبِ ∴ من الورى حفِظُ اللّسان العربيّ

كي يفهموا القرآنِ ∴ والسنّة الدّقيقةَ المعاني.[21]

- **أهميتها:**

ولأهمية هذه المنظومات في حياة طلبة العلم تمكّنت من قلوبهم وعقولهم... بل إنّ هناك بعض "أبيات ومقاطع منها تجري على ألسنتهم، وربّما على ألسنة العموم مجرى الأمثال لدلالتها الشاملة وحسن صياغتها"، كالشطر الثاني من قول إبن عاشر في نظمه المسمى "بالمرشد المعين على الضّروري من علوم الدّين":

فصلٌ وطاعة الجوارح الجميعْ ∴ قولا وفعلا هو الإسلام الرّفيعْ

فهذا الشطر في مشرقنا العربي فيه نجد حتى العامّة يردّدونه غي المناسبات المقتضية له بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وممارسة الشعائر الدينية فيقولون: "قولا وفعلا هو الإسلام الرّفيع".[22]

ومن أهمية هذه المنظومات "التي يستعملون فيها رموزا واصطلاحات خاصة فيلُمّون في المنظومة الصغيرة والأبيات القليلة بقواعد علم كامل من العلوم...ولو لم يتأتوا لها ذلك التّأتي اللّطيف

ويسلكوا لها ذلك المسلك العجيب لما وسعتهم الكتب المطوّلة والموضوعات المبسوطة لاستيفاء تلك الأغراض وتحصيل تلك المقاصد". [23]

" ومن أمثلته قصيدة حرز الأماني في القراءات السّبع، المعروفة بالشّاطبية، نظم أبي القاسم الشاطبي رحمه الله فإنها - على اختصارها في الجملة (إذ تبلغ 1300 بيت) - جمعت زبدة القراءات القرآنية واحتوت من ذلك على علم غزير". [24] حتّى جعلت الكثيرين يولون اهتمام لا نظير له في المنظومات المتعلقة بالقرآن الكريم، ولعلّها أشهر المشهور فيها.

- **من فنيات منظومات الشعر التعليمي:**

يقول كنّون: «من هذا الباب قصيدة (غرامي صحيح) لابن فرج الإشبيلي التي جمع فيها ألقاب الحديث بأسلوب عجيب ومنهج غريب، إذ سلك بها مسلك أهل الغزل في ظاهر اللّفظ وحمل كلّ لقب من ألقاب الحديث على معنى يليق بهذا الغرض، حتى لو أُلقيت على عربي فصيح خالي الذّهن من إصلاحات أهل الحديث لما فهم منها إلاّ معاني غزلية رقيقة تنشرح لها النّفوس وتغتبط بها القلوب، وإليك الحكم: من خلال مطلعها:

غرامي (صحيح) والرّجا فيك (مُعْضَلُ) ∴ وحزني ودمعي مطلق و (مسَلْسَلُ). [25]

ومن هذا الباب أيضا قصيدة أبي الجيش محمد ضياء الدين الخزرجي الأندلسي أو السّبتي المعروفة بالزخرجية في علم العَروض التي سارت بذكرها الرّكبان، والتي جمعت مهمّات هذا العلم في تسعيم (90) بيتا ونيّف بفضل ذلك الأسلوب البديع وهو الرّمز والإشارة والتي يقول في مطلعها:

للشّعر ميزان يسمّى عروضه ∴ بها النقصان والرّجحان يدريهما الفتى. [26]

ومنه كذلك على طريقة التورية كما في نظم غرامي صحيح، منظومة أبي القاسم المهلبيّ البلنسي "لمثلث قطرب" في اللغة وهو الذي يقول في طالعته:

يا مولعا بالغضب ∴ والهجر والتجنّب
في جدّه واللّعب ∴ حبّك قد برح بي
إنّ دموعي غمر ∴ وليس عندي غمر
يا أيها ذا الغمر ∴ أقصر عن التّعتّب
بالفتح ماء كثرا ∴ والكسر حِقد سُتِرا
والضمّ شخص ما درى ∴ شيئا ولم يجرّب. [27]

وينطلق في مجموعة من الأبيات تقدّر بـ (81) بيتا، يذكر فيها سبعا وثلاثين (37) كلمة مثلثة الحركات مختلفة المعاني، كـ: الغمرُ (بالفتحة)؛ بمعنى الماء الكثير، والغِمر (بالكسرة) ؛بمعنى الحِقد المخفي، والغُمر (بالصمّة) ؛بمعنى شخص غير مجرّب.

وقد أوردها في قالب بديع رائع كأنّ بدايتها من المقدمات الغزلية.

- **ومضة من الدراسة الفنيّة لبعض من شعراء العلماء المتصوّفة:**

أنظر أسلوب "رابعة العدوية" في مناجاتها للذات الإلهية في قولها:

أحبّك حبين: حبّ الهوى ∴ وحبّا لأنّك أهل لذاكا

وفي قولها:

حبيبي، ليس يعدله حبيب ∴ وما لسواه في قلبي نصيب

وفي قولها رافضة طالبي يدها:

راحتي يا إخوتي في خلوتي ∴ وحبيبي دائما في حضرتي

فللوهلة الأولى يتبادر إلى ذهن السّامع أنها تغازل معشوقا من الرّجال، ثمّ تبيّن لك أنها تناجي ربّها عزّ وجلّ...

ولعلّ هذا ما دفع ببعض العلماء إلى تسمية شعر التصوّف هذا بالغزل الإلهي.

- وانظر "نونية" ابن سينا واحكم بنفسك على أسلوبه:

هبطت إليك من المحلّ الأرفع ∴ ورقاء ذات تعزّز وتمنّع

محجوبة عن كلّ مقلة عارف ∴ وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره إليك وربّما ∴ كرهت فراقك وهي ذات تفجّع

ألفت وما سكنت فلمّا واصلت ∴ ألفت مجاورة الخراب البلقع

فهو يشبّه النفس بالورقاء (وهي الحمامة) واصفا إياها بالتعزّز والتمنّع وأنها محجوبة وسافرة، وإلفها للجسم الذي نفخت فيه مع تطلّعها للمحل الذي هبطت منه. (28)

وأما من حيث بنائها الشّكلي فإنّ بناء منظومات (أراجيز) الشّعر التعليمي جلّها تبدأ أبياتها بالحمد له ثم الصلاة على النبي (ص) وآله وصحبه، وتتسبق الحمد له والصلاة على النبي (ص) والآل والصّحب أحيانا بعبارة يقول فلان بعيد عبارة وكمثال على ما قلناه ما يأتي:

- في **متن ابن عاشر**:

يقول عبد الواحد ابن عاشر∴ مبتدئاً باسم الإله القادر

الحمد لله الذي علّمنا ∴ من العلوم ما به كلّفنا

صلى وسلم على محمد ∴ وآله وصحبه والمقتدي

- وأما من حيث البحر الشعري فجلّها قيلت على بحر الرّجز - وهذا سبب تسميتها بالأراجيز - والرّجز المزدوج على الخصوص. (29)

- وبعضها قيل على وزن السّريع، وبعضها على بحر البسيط والكثير منها على بحر الطويل.

- وأمّا خاتمتها فمتشابهة جلّها حيث تختتم تلك المنظومات (الأرجوزات) بمقطع يتضمّن ذكر عدد أبيات الأرجوزة وبها دعاء للقبول (قبول هذا العمل لوجه الله) ثم صلاة ثانية على النبي 'ص) وآله وصحبه الأبرار.

- وعلى العموم وقبل مسلك سلك الختام نقول:

إن الجانب الأدبي في هذه المنظومات هو هذه الصّياغة المختصة بالشعر، ولا ريب في أنّ التعبير الجميل عن الفكرة - أيّ فكرة - هو ممّا يدخل في مفهوم الأدب بالمعنى العام. (30)

وذلك ما يؤكد القول بأنّ هذه الأنظام - وإن اشتملت على أغراض علميّة صرفية أو تعليمية- فإنها تكتسي حلّة من البيان والوضوح تجعلها من الآثار الأدبية المرموقة. (31)

وقد تفنّت هذه المنظومة في طريقة عرضها وبلغ بعضها منزلة راقية في العرض، ويظهر أن هذه الطريقة في الغرض « - وهذا النوع من النّظم - قد انفرد به الأندلسيون أو كانوا هم الذين نهجوا سبيله لغيرهم فإنّا لا نعلم لمشرقيّ نظما على منواله إلا ما كان العلاّمة الصَبّان الذي عارض قصيدة "غرامي صحيح" بأخرى على مثالها يقول في أولها:

صِلوا (صحيح) غرامٍ صبره ضَعُفا ∴ وبدّلوا (قطع) من في حبّكم شُغفا

كما عارض قصيدة "الخزرجية" بقصيدة لامية استعمل فيها نفس رموز "أبي الجيش" وهي التي يقول فيها:

وبعد فعِلمُ الشعر فنّ مؤكد ∴ فبادر إليه واستمع فيه ما حلاَ. (32)

- **وفي الختام نقول:**

إنّ بحث النّظم التعليمي (الشعر التعليمي) لا تفي به الصفحات القليلة في مقامنا هذا، ولا حتى البحث والبحثان، بل لا بدّ من بحوث وبحوث عسى أن يقرَّبَ الباحث من استيفائه حقّه، فيكون أنجع وأنفع لمن يريد الاطّلاع على تراثنا الإسلاميّ العربيّ الكبير.

الهوامش:

(1)-ينظر: عمر فاروق الطباع، فروع الشعر العربي، دار القلم، بيروت، ط01، 1992م/1412هـ، ص-15-16-17-18-19..

(2)-حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية، بيروت، ط10، 1980، ص40.

(3)- عالم أديب مغربي(ت 1989)، يلقب بالفقيه، له مؤلفات منها: شرح الشهقية، وأدب الفقهاء، وديوان شعر

(4)- عبد الله كنون، أدب الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1436ه/ 2014م، ص 232

(5)- ينظر: عبد الله كنون، أدب الفقهاء، ص232.

(6)-المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(7)-ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص40..

(8)- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط02، 1396ه/1976م، ص 330-331..[1]

(9)-عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص نفسها 330-331.

(10)- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 332.

(11)-عبد العزيز عتيق: ص 338.

(12)- عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط02، 1391/ 1972، ص 217.

(13)- ينظر: عبد الله كنون، أدب الفقهاء، ص233.

(14)- ينظر: مجلة بونة للبحوث والدراسات، العدد 07و08، ذو الحجة- محرم، 1428- 1429ه/ ديسمبر- جانفي 2007-2008م (جامعة عنابة – الجزائر، مقال بعنوان: رابعة، العدوية البحول الشاعرة المنصوفة، لسعد بوخالفة).

(15)- ينظر: مجلة الوعي الإسلامي، (ع 563): أرجوزة (منظومة) الأرجوزة الميئية في دكرى حال أشرف خير البرية- للحنيفي، رجب 1433ه/ مايو- يونيو 2012م..

(16)- ينظر: مجلة الوعي الإسلامي(ع 568): أرجوزة، (منظومة) أرجوزة، أحكام الحضانة، للبليدي، ذو الحجة 1433ه/ أكثوبر- نوفمبر 2012م.

(17)- ينظر: مجلة العربي، العدد 282، ماي 1982م، مقال بعنوان: حل معادلات الجبر منظومة في أبيات لابن الياسمين- لعبد اللطيف أبو الشعود.

(18)- ينظر: موسوعة الشباب، ج04، مجلد 12، المؤسسة الوطنية للكتاب، مقال بعنوان: مقطوعة،" الشذور" في أصل المادة وكيفيتها.

(19)- ينظر: عبد الله كنون، أدب الفقهاء، ص 234..

(20)- نقلا عن كتاب: أدب الفقهاء- لكنون: ص 235..

(21)- نقلا الكتاب نفسه: ص نفسها.

(22)- أنظر كتاب كنون: ص 241..

(23)-أنظر كتاب كنون: ص 243..

(24)-أنظر كتاب كنون: ص 243.

(25)-أنظر كتاب كنون: ص 244..

(26)- أنظر كتاب كنون: ص 245.

(27)-أنظر كتاب كنون: ص 245.

(28)- أنظر كتاب كنون: ص 211..

(29)- المقصود بالزجر الزوج هو أن يستقل فيه كل بيت بقافية واحدة.دة.

(30)- كنون: ص 232-233.

(31)- كنون: ص 242

(32)- كنون: ص 246.